الملتقى الوطني:" مدرسة الإمام البخاري في الجزائر
: التاريخ-الامتداد-الآفاق"
يومي 22-23 أفريل 2024 .
كلية أصول الدين
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة-

عنوان المداخلة

"خدمة الجامع الصحيح للإمام البخاري من خلال تاريخ الجزائر الثقافي للدكتور أبي القاسم سعد الله"

أ د مختار نصيرة
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص:

يتناول البحث عناية الجزائريين بخدمة صحيح الإمام البخاري رواية ودراية، وذلك مما تناوله البحاثة العلم الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي"، وتم تقسيمه إلى سبعة مطالب وفق حسب مجالات جهود علماء الجزائر في العناية به، والتي من أبرزها، طرق وصول الجامع الصحيح إلى الجزائر، والمؤلفات في شرحه أو أحد الجوانب المتعلقة به كالغريب أو الرواة، أو الاختصار، والإجازات التي حصل عليها علماء الجزائر بالجامع الصحيح.

الكلمات المفتاحية: الجامع الصحيح، البخاري، تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله.

summary:

The research deals with the interest of Algerians in serving Sahih Imam al-Bukhari as a narration and knowledge, and that is what the scholarly researchers, Professor Dr. Abu al-Qasim Saad allah, dealt with in his book "The Cultural History of Algeria." It was divided into Seven demands according to the areas of efforts of Algerian scholars in caring for it, the most prominent of which is The methods of reaching Al-Jami' Al-Sahih in Algeria, the works explaining it or one of the aspects related to it, such as strangers or narrators, or the abbreviation, and the licenses obtained by Algerian scholars regarding Al-Jami' Al-Sahih.

Keywords: Al-Jami' Al-Sahih, Al-Bukhari, Algeria's cultural history, Abu Al-Qasim Saad allah

مقدمة:

إن عناية علماء الجزائر بالسنة النبوية وعلومها نابع من مكانة السنة النبوية، وكونها المصدر الثاني للتشريع الإسلامي؛ ولم تكن عنايتهم وليدة عصر أو جيل أو طبقة معينة، فقد

برز اهتمامهم بها منذ أن بلغت دعوة الإسلام ربوع الغرب الإسلامي، إلا أن التاريخ لم يسجل لنا جميع تلك العناية، بل اكتفى ببعضها؛ وذلك أن العناية بالسنة النبوية لم تأخذ طابع التأليف فقط، بل الرواية، والتدريس والإقراء وغير ذلك، وبالعود إلى كتب الفهارس والمعاجم نجدها تورد كثيرا من تلك العناية.

وكانت عناية الجزائريين بمصادر السنة حفظا ورواية وشرحا واختصارا، وفي مقدمتها الكتب الستة وموطأ الإمام مالك منذ وصولها وتلقيهم إياها، ولمكانة الجامع الصحيح للإمام البخاري عند علماء الأمة وعامتها، فاقت عنايتهم به كل عناية، فكتبوا عليه الشروح والحواشي، وتدارسوه في المناسبات الدينية والحربية، ولا تكاد تجد مدرسا من المدرسين البارزين إلا وبرع في تدريس الحديث أيضا. وأهم الأماكن التي كان يدرس بها الحديث هي الجوامع الكبيرة احتراما له[1].

ولإبراز جوانب من عناية الجزائريين بالحديث وعلومه، عمدنا إلى تخصيص هذا البحث للحديث عن جهودهم في ذلك انطلاقا من عنايتهم بالجامع الصحيح للإمام البخاري رحمه الله تعالى، وذلك مما جمعه وحلله الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله عليه رحمة الله في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي"، وعنوانه: "خدمة الجامع الصحيح للإمام البخاري من خلال تاريخ الجزائر الثقافي للدكتور أبي القاسم سعد الله".

ولما كان كتابه مخصص لفترة تاريخية معينة (من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر)، يعني من بداية التواجد العثماني بالجزائر إلى غاية الاستقلال 1962م. فإن الكشف عن خدمة الجزائريين لصحيح الإمام البخاري يندرج ضمن هذا المجال التاريخي، أو مما ساقه سعد الله لمناسبات مختلفة ممن هو خارج تلك الفترة.

وعليه قمت باستقراء كتابه، واستخرجت جميع ما ورد فيه من معلومات تاريخية تتعلق بالجامع الصحيح للإمام البخاري، ثم قمت بتصنيفها ضمن مطالب، يتعلق كل منها بمسألة مفردة، وفق الخطة الآتية:

المطلب الأول: المطلب الأول: طرق وصول كتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري

المطلب الثاني: دراسة وتدريس صحيح البخاري

المطلب الثالث: التأليف في مسائل تتعلق بصحيح البخاري

المطلب الرابع: حفظ الجامع الصحيح للبخاري:

---

[1] ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي (2/ 24).

المطلب الخامس: الإجازات بالجامع الصحيح للإمام البخاري
المطلب السادس: ختم الجامع الصحيح للبخاري في المناسبات
المطلب السابع: مظاهر إضافية لعناية الجزائريين بالجامع الصحيح للبخاري
الخاتمة:

المطلب الأول: طرق وصول كتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري:

إن أول ما ينبغي معرفته، ونحن نبحث في عناية الجزائريين بالجامع الصحيح للإمام البخاري، هو طرق وصوله إليهم، والتي يمكن ضبطها من خلال عمل أبي القاسم سعد الله إلى طريقين اثنين:

الطريق الأول: الرواية (الإجازات):

ذكر أبو القاسم سعد الله في عدد من أبواب كتابه كالحديث والإجازات عددا من الإجازات التي حصل عليها الجزائريون داخل الجزائر وخارجها، والذي نلاحظه من خلال تتبعنا للكتاب أنه قصد الاستقراء والتتبع لاستقاء المعلومات من مصادرها ومراجعها المختلفة والمتنوعة، وبذل في سبيل ذلك جهدا منقطع النظير، وقد أفنى فيه أكثر من ربع قرن من البحث والتحرير.

ومن خلال تلك الإجازات التي ساقها نستطيع القول أنها تعتبر طريقا وصل من خلالها الجامع الصحيح البخاري إلى الجزائر، وفيما يلي ذكر ما تناوله في كتابه:

1. محمد الصالح الرضوي البخاري:

ذكر عبد الحي الكتاني في كتابه فهر الفهارس أنه: "قد حصل بجولان المترجم في إفريقية، خصوصاً ببلاد الجزائر والمغرب الأقصى، روجان لعلم الحديث ورواته؛ فإنه نشر أسانيده وبث علومه، ولا يزال ذكره بالجزائر إلى الآن غضاً طرياً كأنه خرج منها البارحة، فجزاه الله خيراً ومثوبة وأجراً"[2].

فكان اسم محمد الصالح الرضوي البخاري متواترا بين علماء الجزائر، وذلك لكثرة الذين أجازهم من علماء الجزائر، فقد بلغوا قرابة العشرين[3].

---

[2]فهرس الفهارس (132/1). ونقل الكتاني عن ابن عزوز في كتابه عمدة الأثبات قوله: "ما يتعجب منه أن المترجم (الرضوي) مع جولاته شرقا وغربا ما وجد مجازا منه في غير الجزائر إلا قليلا". ورد عليه الكتاني بقوله: " نشأ من عدم جولان الأستاذ ابن عزوز في مصر والحجاز والمغرب الأقصى، بل لم يطلع رحمه الله على رواية بلديه ووزير دولته الشيخ عبد العزيز بوعتور التونسي عن المترجم، ولله في خلقه شؤن". والظاهر أن ابن عزوز يقصد كثرة الرواة عنه من الجزائر، لا نفي الرواية عنه في البلدان الأخرى.

[3]تاريخ الجزائر الثقافي (69/7).

وقد جعله ابن أبي شنب من الجسور التي عبر بها صحيح البخاري إلى الجزائر[4].

ويذكر الكتاني أن الرضوي كلف عبد الرحمان بن الأمين يكتب أسانيده في ورقات بيضاء وختمها بختمه وأعطاها له ليجيز بها عنه من أراد، فكانت بيده شبه وكالة عنه في الإجازة. – قال - وقد ظفرت في الجزائر ببعض هذه الأوراق البيضاء مختومة بختمه رحمه الله"[5].

وتعقب أبو القاسم سعد الله على هذا الشكل من الإجازات بقوله: "وفي ذلك ابتذال للإجازة نفسها وهوان للعلم. ومع ذلك فإننا نلاحظ أن بعض الذين حظوا بإجازة الرضوي كانوا قد أثبتوا وجودهم العلمي كالحرار وابن الحفاف وعلي بن سماية والعمالي وابن الحاج موسى. والغريب أن إجازة الرضوي كانت في علم الحديث وروايته، وكذلك في التصوف[6].

كما تعتبر كل إجازة تحصل عليها أحد علماء الجزائر سواء من علماء المشرق أو المغرب طريقا لدخول صحيح البخاري إلى الجزائر، والتي سنعرض عددا منها في مطلب الإجازات بإذن الله.

الطريق الثاني: النسخ الخطية لكتاب الجامع الصحيح:

ويعد جلب النسخ الخطية للكتاب مسلكا لدخول الجامع الصحيح إلى الجزائر، وذكر منها أبو القاسم سعد الله:

طريق العثمانيين: كما ذكر سعد الله أن أهم ما جاء الجزائر عن طريق العثمانيين هي كتب الفقه الحنفي **ونسخ كثيرة من صحيح البخاري ومختصراته، كمختصر ابن أبي جمرة**[7].

---

[4] تاريخ الجزائر الثقافي (69/7).

[5] فهرس الفهارس (133/1).

[6] تاريخ الجزائر الثقافي (69/7).

[7] تاريخ الجزائر الثقافي (1/ 289).

المطلب الثاني: دراسة وتدريس صحيح البخاري:

عكف عدد من علماء الجزائر على إقراء وتدريس الجامع الصحيح للإمام البخاري داخل الجزائر وخارجها.

فممن درّسوا الجامع الصحيح للإمام البخاري خارج الجزائر:

1. **أحمد بن أحمد البجائي المعروف بأبي عصيدة**: ظل في الحجاز يكتب ويقرئ البخاري والشفا ونحوهما[8].
2. **عبد الرحمان الثعالبي**:درس صحيح البخاري بتونس[9].
3. **صالح السمعوني**: من بني سمعون قرب بجاية. هاجر إلى الشام. وكان عارفا بالرياضيات والفلك وعلوم أخرى مشابهة، وأقرأ الفلك لأبناء دمشق حتى عرف به وتخرج عليه فيه بعض العلماء. تولى فتوى المالكية بدمشق، وخلال ثلاثة أشهر من كل سنة كان يجلس لإقراء البخاري. وتوفي في دمشق سنة 1281 (1864)[10].
4. **الأمير عبد القادر** كان معتنيا أيضا بصحيح البخاري، وكان تدريسه له في المدرسة الأشرفية المعروفة بدار الحديث النووية بسورية. وكان يدرس الحديث رواية بحضور جمع من العلماء بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر. وقد ختم البخاري وأقيم لذلك حفل ضخم وزعت فيه الإجازات العلمية، وأنشدت فيه القصائد [11].
5. **أحمد المقري** تصدر لتدريس صحيح البخاري في الجامع الأزهر حتى بهر الحاضرين، كما وفد على المدينة المنورة سبع مرات وأملى الحديث النبوي عند قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم). وقد أملى صحيح البخاري بالجامع الأموي بدمشق أثناء درس كان يلقيه

---

(8)تاريخ الجزائر الثقافي (1/ 84-85):وألف أحمد بن أحمد البجائي المعروف بأبي عصيدة عملا أدبيا هاما سماه (رسالة الغريب إلى الحبيب)، وهو خطاب موجه منه لما كان بالمدينة المنورة إلى محمد بن أبي القاسم المشدالي البجائي الذي كان مقيما في القاهرة...فيها أخبار هامة عن حياة المؤلف في الغربة لأنه قد رحل إلى الحجاز للحج ثم عاد عبر تونس بعد ثلاث سنوات ناويا الإقامة بالوطن، وعندما سأل في تونس عن الأهل والأصدقاء علم أن جميعهم قد توفوا وتفرق شملهم فعاد من حيث أتى وظل في الحجاز يكتب ويقرئ البخاري والشفا ونحوهما. ولولا هذه المراسلات التي كانت تدور بينه وبين المشدالي وأمثاله لانقطعت صلته بالوطن.

(9)تاريخ الجزائر الثقافي (1/ 92)

(10)تاريخ الجزائر الثقافي (522/5)

(11)تاريخ الجزائر الثقافي (46/7)

بعد صلاة الصبح. ولما كثر الناس حوله خرج إلى صحن الجامع. وحضر درسه غالب أعيان دمشق وجميع الطلبة[12].

وكان ممن درسوا ودرّسوا الجامع الصحيح للإمام البخاري في الجزائر:

6. **عبد الرحمان الثعالبي:** كان خلال تجواله يتلقى العلم بالمشافهة أو الإجازة. حتى أصبح من رواة الحديث ولا سيما صحيح البخاري الذي كان من أبرز رواته ومدرسيه في الجزائر. وله في ذلك فهرس أسماه (غنية الواجد وبغية الطالب الماجد). ولم يكتف الثعالبي بأخذ الحديث رواية بل درسه أيضا في تونس ومدينة الجزائر»[13].
7. **سعيد قدورة:** كان مع مهمته في الإفتاء والتدريس، يدرس طلابه صحيح البخاري[14].
8. **حميدة العمالي:** كان يدرس صحيح البخاري دراية ورواية[15].
9. **عيسى الثعالبي:** لازم علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي، أكثر من عشر سنوات ملازمة ظله، ودرس عليه علوما شتى منها **صحيح البخاري دراية ورواية**، وبعض كتاب الشفاء، وألفية العراقي في مصطلح الحديث[16].

---

[12] تاريخ الجزائر الثقافي (28/2)،وينظر: تاريخ الجزائر الثقافي (222/2) ، نقل أبو القاسم سعد الله عن المحبي قوله: " وكان يوم ختم البخاري (حافلا جدا اجتمع فيه الألوف من الناس وعلت الأصوات بالبكاء فنقلت حلقة الدرس إلى وسط الصحن إلى الباب الذي يوضع فيه العلم النبوي في الجمعات من رجب وشعبان ورمضان. وأتي إليه بكرسي الوعظ فصعد عليه وتكلم بكلام في العقائد والحديث لم يسمع نظيره أبدا، وتكلم على ترجمة البخاري. وكانت الجلسة من طلوع الشمس إلى قرب الظهر، ثم ختم الدرس بآيات قالها حين ودع المصطفى (صلى الله عليه وسلم). ونزل عن الكرسي فازدحم الناس على تقبيل يده. ولم يتفق لغيره من العلماء الواردين إلى دمشق ما اتفق له من الحظوة وإقبال الناس".

[13] تاريخ الجزائر الثقافي (1/ 92)

[14] تاريخ الجزائر الثقافي (1/ 370)

[15] تاريخ الجزائر الثقافي (79/3)

[16] تاريخ الجزائر الثقافي (52/2 -53) وذكر سعد لله أن الثعالبي سجل ما قرأه على شيخه الأنصاري وغير. في ثبته المعروف (كنز الرواة). وارتبطت الصلة بين الثعالبي والأنصاري حتى تجاوزت العلم إلى الصلات الاجتماعية والسياسية. فقد زوجه شيخه ابنته وقربه من باشوات الجزائر، ولا سيما يوسف باشا، الذي حظي عنده الثعالبي بمكانة مرموقة، كما حظي عنده الأنصاري، حتى أصبح الثعالبي وكأنه هو كاتب الباشا الخاص. ولكن الأمور قد تطورت في غير صالح الثعالبي فقد طلق زوجه بأمر والدها، كما يقول العياشي (الذي لا شك أنه روى ذلك عن الثعالبي نفسه) ومع ذلك لم تنقطع صلته بأستاذه. ثم توفي الأنصاري بالطاعون سنة 1057 فخسر الثعالبي سندا قويا. ووقعت ثورة ضد الحكم العثماني في شرق البلاد أدت إلى ضعضعة هذا الحكم ولا سيما سمعة يوسف باشا ولي نعمة الثعالبي. وقد أدى ذلك أيضا إلى وضع الباشا في السجن عدة مرات من زملائه المنافسين له والجنود الناقمين عليه لعدم دفع المرتبات لهم. ومن الرسالة التي كتبها الثعالبي لصديقه وأستاذه عالم عنابة علي بن محمد ساسي البوني، ندرك أنه قد رافق يوسف باشا في حملته ضد الثوار (الثورة المعروفة بثورة ابن الصخري). وسواء رافق الثعالبي الباشا في هذه الحملة أو في حملات أخرى سابقة، فإنه قد برهن من خلال الرسالة على أنه قد شارك ضد الثورة. فهو يتحدث بضمير المؤيد للعثمانيين ضد الثوار ويصف المعارك (دون أن يذكر تاريخا) وكأنه حاضر لها ومشارك فيها".

10. **محمد بن الحاج حمو:** كان يتردد على العاصمة، فأخذ بها صحيح البخاري على المفتي علي بن الأمين[17].
11. **قدور بن مرابط:** كان يشغل وظيفة حضور (قارئ صحيح البخاري) بالجامع الكبير[18].

المطلب الثالث: التأليف في مسائل تتعلق بصحيح البخاري:

وعلى الرغم من الملاحظة التي سجلها أبو القاسم سعد الله والتي تخص قلة التأليف في مرحلتي العثمانيين والاستعمار الفرنسي للجزائر وبيان جملة من أسبابها؛ فإننا نجد عددا من المؤلفات في الحديث وعلومه، وفي مقدمتها تلك التي تخدم الجامع الصحيح للإمام البخاري، وعلى الجملة فهي لا تعكس شساعة المنطقة وبيئاتها العلمية ومكانها المحوري، وأعلامها المبرزين، وفيما يلي نذكر ما تم رصده من تلك المؤلفات في كتاب تاريخ الجزائر الثقافي:

1. ألف **علي الأنصاري** مجموعة من التآليف معظمها منظومات وشروح جاءت نتيجة مهنته سواء في الجزائر أو في المغرب. وقد ذكر بعض هذه التآليف أستاذه أحمد المقري وذكر بعضها الآخر المحبي، ومنها: **تأليف في رجال البخاري** "الذي قيل إنه قرأه سبع عشرة مرة قراءة بحث وتدقيق وأنه قرأه دراية على مشايخه"[19].
2. ولما شعر **عبد الرحمن بن عبد القادر المجاجي** أن مختصر ابن أبي جمرة لصحيح البخاري في حاجة إلى شرح يضبط ألفاظه ويقرب معانيه فقام بعمل ضخم بهذا

---

[17] تاريخ الجزائر الثقافي (489/4)

[18] تاريخ الجزائر الثقافي (367/4)

[19] تاريخ الجزائر الثقافي (1/ 250-251) وكان المجاجي قد درس أولا في موطنه مجاجة وفي تلمسان ثم في فاس على عدة شيوخ. وكان دافعه إلى القيام بهذا العمل الغيرة على قراءة الحديث حتى لا تقع فيه الأخطاء أثناء القراءة، وكون شيخه، محمد بن علي أبهلول، كثيرا ما فكر في كتابة عمل من هذا النوع، ولكن الأقدار لم تسعفه. لذلك قام هو بالمهمة. وقد بدأ المجاجي بتعريف علم الحديث، فقال: (علم الحديث من أجل العلوم قدرا، وأعلاها منزلة وخطرا، وكان الناس مقبلين على قراءة جامع البخاري عموما وعلى ما اختصر منه الشيخ العارف بالله ابن أبي جمرة خصوصا، وكانت قراءة الحديث تحتاج إلى شروط جمة، وتلزمها آداب مهمة، أعظمها الاحتراز من الخطأ في إعرابه، ومن اللحن في مضبوط ألفاظه، فتحرك مني الغرام الساكن لضبط تلك الأماكن ..) وفي المقدمة التي وضعها المجاجي لشرحه بابان الأول في التعريف بالمصنف (البخاري) والثاني في علم الحديث على الجملة، وجعل كل باب يحتوي على فصول، كآداب معرفة الحديث، وكيفية روايته، وكيفية كتب الحديث وضبطه، وبعض ألقاب الحديث الخ. أما الكتاب جملة فقد قسمه إلى كتب، فهناك كتاب للبيع، وآخر للشركة، وثالث للصوم، ورابع للهبة الخ. وقد وضع بعض المصطلحات في المنقول عنهم: فحرف الحاء (ح) يشير إلى القاضي عياض، وهكذا. كما أنه نقل كثيرا عن أستاذه محمد بن علي أبهلول".

الصدد، وسمى شرحه **"فتح الباري في ضبط ألفاظ الأحاديث التي اختصرها العارف بالله (ابن أبي جمرة) من صحيح البخاري"**[20].

3. **ولأحمد بن عمار حاشية على صحيح البخاري**[21].
4. كما نظم محمد بن علي المعروف بأقوجيلي (القوجيلي) الجزائري منظومة سماها **"عقد الجمان اللامع المنتقى من قعر بحر الجامع"**، وهي منظومة في مخرجي أحاديث الجامع الصحيح للبخاري وعدد الأحاديث التي لكل منهم، ومن هو المكثر ومن هو المقل في السند على ما أورده ابن حجر. وزاد عليه القوجيلي التعريف بالوفاة وتكملة تراجم الرواة[22].
5. وقام **أحمد بن قاسم البوني باختصار مقدمات فتح الباري علىالبخاري**[23].
6. **ابن عمار:** ألف عددا من الكتب، منها **شرح على البخاري**[24].
7. ومن **تآليف البوني** في الحديث والسنة النبوية عموما ما يلي:**"إظهار نفائس ادخاري المهيآت لختم كتاب البخاري"**[25].
8. **<u>هوداس:</u>**اشتغل قرابة العشر سنوات. وبعد رجوعه إلى باريس، كان يبحث وينشر أعمالا ليست بالضرورة حول الجزائر، منها أنه ترجم نصوصا من صحيح البخاري. ومما انتقده عليه زملاؤه المستشرقون أنه كان يتعجل النشر لأعماله ولا يدقق كثيرا[26].
9. **وللحاج الداودي التلمساني** المتوفى سنة 1854**شرح على صحيح البخاري**[27].
10. **ولعلي الونيسي شرح صحيح البخاري:** وقيل إن الشرح قد وصل إلى اثني عشر جزءا. ولكننا لا ندري طريقته في ذلك، ولا دوافعه، ولا في أي شيء اختلف شرحه عن شروح البخاري الأخرى. على أن جهده يدل على تمكنه من ثقافة أدبية ودينية عميقة.

---

[20]تاريخ الجزائر الثقافي (29/2)

[21]تاريخ الجزائر الثقافي (30/2) قد عرف ابن عمار السند وفضله على الأمة الإسلامية، مستعيرا تعريفه من محمد بن أبي حاتم بن المظفر، وكان ابن عمار من المسندين المعروفين في وقته. وسنذكر ثبته فيما بعد

[22]تاريخ الجزائر الثقافي (30/2-31)

[23]تاريخ الجزائر الثقافي (31/2)

[24]تاريخ الجزائر الثقافي (230/2) ذكره له محمد بن أبي شنب في مقاله الذي تقدم به لمؤتمر المستشرقين الرابع عشر (الجزائر، 1905).

[25]تاريخ الجزائر الثقافي (63/2)

[26]تاريخ الجزائر الثقافي (24/6)

[27]تاريخ الجزائر الثقافي (43/7)

وللونيسي مؤلفات أخرى، منها ختمات كثيرة في كتب الحديث مثل الصحيحين والموطأ والشفا[28].

11. **وللشيخ عبد الحفيظ الخنقي غنية القاري في ثلاثيات البخاري:** تلميذ محمد بن عزوز في الطريقة الرحمانية. وكان من علماء الوقت عندما وقع الاحتلال سنة 1830[29].

المطلب الرابع: حفظ الجامع الصحيح للبخاري:

لم يكن غريبا حفظ مصنف أو أكثر من مصنفات السنة في تلك المراحل التاريخة أو ما قبلها، على قلة الذين يولون لهذا النوع من العناية أهمية، وقد تم تسجيل ثلاثة أعلام حفظوا الجامع الصحيح للإمام البخاري وغيره:

1. **زين العابدين المشرفي المعروف بابن عبد الله سقط:** من مسندي أوائل القرن الماضي. وقد وصفه أبو حامد المشرفي في كتابه (ياقوتة النسب الوهاجة) أنه كان كثير الحفظ حتى أنه كان يحفظ صحيح البخاري متنا وإسنادا كما كان يحفظ صحيح مسلم، وله (فهرسة) تشهد له بذلك[30].
2. **الوزان:** كان أولا من أهل التصوف منقطعا لقراءة كتب المتصوفة ومعتنيا بطريقتهم ولا ينفك عن كتب الوعظ والروحانيات، ولكنه بإلهام خارق تحول إلى الحديث الشريف واعتكف على البخاري يحفظه متنا وسندا[31].
3. نقل سعد الله عن **الفكون قوله إن الوزان** كان يقرأ كعادته كتب أهل التصوف في الجامع الكبير القديم بقسنطينة بين خزانتي الكتب فخرج عليه شخص وطلب منه أن يعود إلى كتب الحديث النبوي فترك الوزان قراءة كتب التصوف والعناية بطرق

---

[28] تاريخ الجزائر الثقافي (44/7)

[29] تاريخ الجزائر الثقافي (45/7)

[30] تاريخ الجزائر الثقافي (39/2) من مسندي أوائل القرن الماضي. وقد لعب هذا الشيخ دورا في الأحداث التي جرت بين الجزائريين والفرنسيين. وتهمنا هنا الناحية العلمية من حياته. فقد تثقف بالجزائر على عدد من شيوخ الناحية الغربية، ومنهم أبو راس، ثم رحل إلى المشرق فأخذ العلم إجازة من بعض العلماء هناك. وقد وصفه أبو حامد المشرفي في كتابه (ياقوتة النسب الوهاجة) أنه كان كثير الحفظ حتى أنه كان يحفظ صحيح البخاري متنا وإسنادا كما كان يحفظ صحيح مسلم، بالإضافة إلى حفظ السيرة النبوية والأخبار والتواريخ وشيوخ المذهب. وله (فهرسة) تشهد له بذلك. ومن جهة أخرى ذكر له الكتاني مجموعة من الشيوخ الذين قرأ عليهم وأجازوه بالمغرب والمشرق

[31] تاريخ الجزائر الثقافي (113/2) وكان أولا من أهل التصوف منقطعا لقراءة كتب المتصوفة ومعتنيا بطريقتهم ولا ينفك عن كتب الوعظ والروحانيات، ولكنه بإلهام خارق تحول إلى الحديث الشريف واعتكف على البخاري يحفظه متنا وسندا

القـوم وكتـب الـوعظ واشـتغل بالحـديث الشـريف. فكـان يحفـظ صحيح البخـاري بأسانيده[32].

المطلب الخامس: الإجازات بالجامع الصحيح للإمام البخاري:

ركز أبو القاسم سعد الله في عرضه لإجازات العلماء في رواية الجامع الصحيح الإمام البخاري على إجازة معين لمعين، وذلك لسببين اثنين:

- الإجـازات العامـة لا يشـترط فيهـا الحضـور و السـماع، وإنمـا تعطى لمـن طلبهـا غالبـا للحصول على شرف السند.
- أن أبا القاسم سعد الله لم يقف على كثير من نصوص الإجازات، مما جعله لم يقطع بحصول بعض العلماء على إجازات لصحيح الإمام البخاري.

وفيما يلي الإجازات التي حصل عليها علماء الجزائر (إجازة معين لمعين) التي أوردها سعد الله:

1. **أحمد بن محمد الشريف المعروف بابن سحنون:** ذكر في كتابه **"الثغر الجماني":** أجازة محمد الزجاي له بنصها مخافة ضياعها، فقال: "وبناء عليه فإن ابن سحنون قـد لازم الزجـاي ومجلسـه العلمي عـدة أيـام وليـال. فقـد قـرأ عليـه صحيح البخـاري ...[33].
2. **يحيى الشـاوي:** تلقى إجـازتين من مواطنه محمد السـعدي بن محمد بهلول، الأولى إجازة بقراءته عليه موطأ الإمام مالك وبعض صحيح البخاري وبعض صحيح مسلم وروايـة الكتـب الثلاثـة المـذكورة بسـنده عـن شـيوخه فيهـا. والثانيـة مـا يسـمونه بالمصافحة. فقد أجاز محمد الس
3. عدي للشاوي مصافحة الفقيه محمد العربي يوسف الفاسي له بزاوية محمد بن أبي بكر الدلائي [34].
4. **محمد بن زيد الدين الكفيري:** ممن أجازهم الشاوي أيضا، وذلك بأسانيده ومروياته عن مشايخه في كتب الموطأ وصحيح البخاري وغيرها [35].

---

[32]تاريخ الجزائر الثقافي (1/ 381)

[33]تاريخ الجزائر الثقافي (41/2)

[34]تاريخ الجزائر الثقافي (42/2)

5. **تقي الدين الحسني:** أجازه الشاوي بالإجازة التي منحه إياها شيخه محمد السعدي البهلول. ولا شك أن الشاوي قد أجاز غير هؤلاء أيضا[36].
6. **حميدة العمالي:** أجازه محمد الصالح الرضوي البخاري، وحمودة المقايسي، وأحمد بن الكاهية، ومعظم هذه الإجازات في الحديث والصحاح الستة[37].
7. **إجازات الجيلالي:** التي حصل عليها الشيخ عبد الرحمن الجيلالي من شيوخه الآتية أسماؤهم: المولود الزريبي، وعبد الحليم بن سماية والحفناوي بن الشيخ. ونحن إلى الآن لم نطلع على نصوص الإجازات التي قيل أنها في صحيح البخاري. وقد تكون عامة[38].
8. وروى **أحمد بن عمار** صحيح البخاري عن خاله محمد بن سيدي هدى الجزائري ومحمد بن سيدي الهادي[39].
9. **أحمد المقري:** له سند برواية صحيح البخاري مع إجازته لعيسى العجلوني[40].

وحين تناول سعد الله إجازة الشيخ بخيت المطيعي لعبد الحميد بن باديس، حين كان في طريقه لأداء فريضة الحج سنة 1913، حيث لقي بمصر الشيخ محمد بخيت الذي منحه الإجازة، ربما بطلب منه، قال: "ولكننا لا نملك الآن صورة للإجازة ولا لطلبها" [41].

---

(35)تاريخ الجزائر الثقافي (48/2)

(36)تاريخ الجزائر الثقافي (48/2)

(37)تاريخ الجزائر الثقافي (76/3) ، وقال سعد الله: "يختلف حميدة العمالي عن زملائه المعاصرين من عدة وجوه. فقد كان من أعمقهم فقها، وكان قد ترك بعض التآليف وله سند في شيوخ كثيرين، كما كان له تلاميذ اشتهر بعضهم حتى كاد يغطى عليه. فالعمالي من نوادر هذا العهد، رغم وظائفه الرسمية وعيشه فترة الجدب العلمي التي أشرنا إليها. ولعل سر قوته يرجع إلى تواضعه وإلى أخذه عن بقية صالحة من سلف المدرسين والعلماء. ولد بالعاصمة سنة 1227 (1813)، وهو من جبل عمال من سلسلة جبال الأطلس التلية القريبة من العاصمة، ومن ذلك نسبته (العمالي)، وكان أبوه رحمانيا من أتباع وتلاميذ الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري. وكان مقدما له. وحفظ حميدة العمالي القرآن على المؤدب الشيخ سيدي عمرو، الذي ذكرناه سابقا، وقد نوه به العمالي في كناشه حين وفاته سنة 1275. وأخذ العلم عن شيوخ بقيت أسماؤهم وآثارهم محفورة، منهم مصطفى الكبابطي ومحمد بن الشاهد، ومحمد واعزيز، ومحمد العربي، إمام الجامع الكبير في وقته".

(38)تاريخ الجزائر الثقافي (63/7)

(39)تاريخ الجزائر الثقافي (35/2)

(40)تاريخ الجزائر الثقافي (34/2) نقلا عن دار الكتب المصرية، مصطلح الحديث، رقم 335 مجموع.

(41)تاريخ الجزائر الثقافي (7/ 70)

ومخطوطة هذه الإجازة نشرها الدكتور عبد العزيز فيلالي في كتابه "وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة ابن باديس الدراسية"، وهي إجازة عامة لكل مروياته الشيخ بخيت من معقول ومنقول ومؤلفاته وإجازاته[42]، والظاهر أن من بين مروياته فيها مصادر السنة النبوية وفي مقدمتها صحيح الإمام البخاري؛ لأن الإجازات المفصلة التي تحوي أسانيد الشيخ بخيت المطيعي فيها جملة من المصنفات منها الجامع الصحيح للإمام البخاري[43].

والأمر ذاته يتعلق بإجازات الكتاني للجزائريين، كما أورده في كتابه (فهرس الفهارس) من أن عددا من علماء الجزائر الذين أجازهم وأجازوه[44]. وغيرها من الإجازات العامة التي يمكن أن يكون من ضمنها الجامع الصحيح للإمام البخاري، إلا أن نص الإجازة لم يفصح عن ذلك.

المطلب السادس: ختم الجامع الصحيح للبخاري في المناسبات:

نقل أبو القاسم سعد الله عن ابن حمادوش وصفه بعض عادات مدينة الجزائر ليلة القدر وختم صحيح البخاري وغيرهما من المناسبات الدينية[45].

فابن حمادوش، الذي تولى سرد صحيح البخاري في الجامع الكبير بالعاصمة، يروي أن مملیه كان محمد بن سيدي الهادي وأحمد العمالي والمفتي الحاج الزروق وعبد الرحمن الزروق، وغيرهم. وكان يميز من كان له صوت جهوري سليم ومن كان صوته ضعيفا وغير فصيح. كما تضمنت رحلة ابن عمار ومذكرات الزهار وغيرهما المناسبات الدينية والاجتماعية التي يتلى فيها البخاري وطريقة التلاوة وزمنها ونحو ذلك.

كما أن مصادر الحملات العسكرية ضد الأجانب تضمنت وصفا للجوء العلماء الجزائريين، أحيانا بأمر السلطات السياسية لقراءة صحيح البخاري في المساجد أو بين أيدي المقاتلين. ومن ذلك ما رواه ابن زرفة في (الرحلة القمرية) وابن سحنون في (الثغر

---

(42)وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة ابن باديس الدراسية، ص110.

(43)ينظر: إجازة محمد بخيت بن حسين المطيعي، مخطوطة، مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود

(44)تاريخ الجزائر الثقافي (70/7)، نقلا عن فهرس الفهارس للكتاني.

(45)تاريخ الجزائر الثقافي (35/2)

الجماني) من أن الباي محمد الكبير قد أمر العلماء والطلبة بقراءة صحيح البخاري عند الحملة ضد الإسبان بوهران[46].

المطلب السابع: مظاهر إضافية لعناية الجزائريين بالجامع الصحيح للبخاري:

الفرع الأول: تخصيص مرتب خاص لقارئ الجامع الصحيح للبخاري:

ومما يبين مكانة الجامع الصحيح عند الجزائريين، أن قارئ صحيح الإمام البخاري يخصص له مرتب خاص في المساجد والجوامع الكبرى.

منها ما ذكره سعد الله أنه في أواخر القرن العاشر (16 م) وزع خضر باشا مرتبات شهرية في الجامع الذي بناه باسمه على النحو التالي:

50 دينارا ... للخطيب ...

30 دينارا ... للمدرس المالكي

30 دينارا ... لقارئ صحيح البخاري

30 دينارا لقارئ ابن أبي جمرة (مختصر صحيح البخاري)

5 دينارا ... لقارئ الرسالة للقيرواني

5 دنانير ... لوكيل الوقف[47].وهذا يعني أن كتاب البخاري كان في الصدارة من حيث الاهتمام والتقدير عند الحكام والعلماء وعوام الناس.

كما كانت للجامع الكبير بالجزائر أوقاف ضخمة تمكن بها المفتي سعيد قدورة من إنشاء مدرسة عليا تابعة للجامع، وكذلك زاوية لسكنى الطلبة وغرباء العلماء. وقد كلف هذا المشروع خمسة عشر ألف دينار جزائري، وكلها قد دفعت من أوقاف الجامع. وكان عدد الأساتذة الذين يلقون الدروس بالجامع والمدرسة تسعة عشر أستاذا، بالإضافة إلى عدد من المسمعين (أو المساعدين) ونحوهم. وهذا بدون الأساتذة الذين يقرأون صحيح البخاري[48].

الفرع الثاني: المكتبات الموقوفة في الجوامع والمساجد:

كما تظهر عناية الجزائريين بالجامع الصحيح في المكتبات الخاصة والعامة، ففي معظم الجوامع توجد المكتبات الموقوفة على القراء والطلبة والأساتذة. وتختلف

---

(46)ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي (35/2)

(47)تاريخ الجزائر الثقافي (1/ 256)

(48)تاريخ الجزائر الثقافي (1/ 283)

الكتب الموقوفة كثرة وتنوعا. ومما يميزها مهما قل عدد الكتب هو وجود نسخة أو أكثر للجامع الصحيح للإمام البخاري[49].

وفي وقفية مسجد محمد بن يوسف السنوسي في تلمسان كتب مختلفة منها نسختان من صحيح البخاري[50].

الفرع الثالث: الجامع الصحيح للبخاري في المواد المقررة في الثانويات والعالية:

ومما يشد الانتباه أن المتمدرسين في الثانويات والعالية كانوا يدرسون إلى جانب تفسير القرآن الكريم بعدة كتب منها تفسير الثعالبي وتفسير السيوطي.الحديث الشريف وخصوصا صحيح البخاري الذي كاد يقرأ أكثر من القرآن، ومختصر ابن أبي جمرة، وكتاب الشفاء للقاضي عياض[51].

الخاتمة:

في ختام هذا البحث أخلص إلى النتائج الآتية:

1. ذكر سعد الله طرق وصول الجامع الصحيح للإمام البخاري إلى الجزائر، في حدود ما وقف عليه في مصادره المتاحة.
2. الإجازات التي أوردها سعد الله في كتابه، اعتمد فيها غالبا على كتب الفهارس، والمعروف عنها أنها تورد الإجازات باختصار، وفي كثير من الأحيان يحتاج الباحث إلى نص الإجازة ليحلل فحواها، ويبرز مدى علاقتها بالموضوع، وخاصة مع توفر نصوص كثير من الإجازات بعد إنجاز سعد الله لكتابه.
3. تنوع المؤلفات المتعلقة بالجامع الصحيح للإمام البخاري، لتشمل الشروح، الغريب، الرواة، وغيرها.
4. أبرز سعد الله مبالغة الجزائريين في العناية بالجامع الصحيح، وذلك بعقد مجالس لقراءته في المساجد، والمناسبات، والحروب، ولم يحض مصدر آخر بهذه المكانة.

---

(49)ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي (1/ 255)

(50)تاريخ الجزائر الثقافي (1/ 298 - 299)

(51)تاريخ الجزائر الثقافي (1/ 250-251)

5. كتاب "تاريخ الجزائر الثقافي" يعد بحق موسوعة علمية تاريخية متميزة، تناول فيها سعد الله جميع ما يتعلق بتاريخ الثقافة الجزائرية، والكتاب يحتاج إلى تذييل بإضافة المعلومات التاريخية التي لم يقف عليها بسبب عدم وقوفه على عض المصادر والمراجع، أو بسبب ضيق الوقت.